الانحراف عن الإيمان الأرثوذكسي

في عصر الأنبا شنودة

الانحراف عن الإيمان الأرثوذكسي في عصر الأنبا شنودة تفشى في مجالات متعددة يمكن جمعها في أربعة محاور كالآتي:

- الانحرافات الكريستولوجية
- الانحرافات الخاصة بالتقليد والقانون الكنسي
- الانحرافات الخاصة بالتدبير الكنسي والطقس
- وصاحب كل تلك الانحرافات السابقة نشر أفكار غير مسيحية في المجتمع القبطي لدعم العصمة البابوية والسلطان الكهنوتي حتى لا تقابل كل تلك الانحرافات السابقة بأي مقاومة تعوق من نشرها. ومثل لذلك أن البابا هو المختار من الله وأن من يعترض عليه فهو يحارب الكنيسة وأن البابا هو الذي سيسلم الكنيسة للمسيح.. ألخ

الخطر الشديد من تلك الانحرافات أنها أصبحت تترد في الكنيسة في تعاليم الكثير من الكهنة والأساقفة بشكل واضح مما يلزم الوقوف أمامها بكل حزم لتصحيح مسار الكنيسة والعودة بالتعليم اللاهوتي لإيمان الكنسية القبطية الأصلي الصحيح. لذلك نعرض تلك الانحرافات للحوار المفتوح أمام الجميع مع رجاء ألا يشارك في الحوار إلا من يفهم في اللاهوت وتكون المشاركة بشكل موضوعي.

أولا: الانحرافات الكريستولوجية:

مقدمة تاريخية:

الانحرافات اللاهوتية عند الأنبا شنودة لم تبدأ من فراغ لكنها تطورت عبر تاريخ طويل امتد من عام 1959 وحتى عام 1991 حين أعلن لأول مرة نظرية الثلاثة أجساد ثم تعمقت تلك الانحرافات بإضافات متعددة حتى انتقاله. بدأت تلك

المحنة بتساؤلات حول مفهوم حلول الروح القدس والتمييز بين أقنوم الروح القدس ومواهبه. ثم أخذت الانحرافات مسارا طويلا في التطور حتى بلغت منتهاها إلى نظرية الأجساد الثلاثة الخطرة جدا على التعليم الأرثوذكسي.

الصراع حول الكرسي البطريركي كان الدافع الرئيسي الذي أشعل الحرب التي شنها الراهب أنطونيوس السرياني ضد معلمه الأب متى المسكين عقب ترشيحهما للكرسي البطريركي في عام **1956**. وذلك عندما رشحت عندما اللجنة العليا لمدارس الأحد ثلاثة رهبان للبطريركية حيث تصدر المرشحين الأب متى المسكين ثم الراهب مكاري السرياني الذي كانت تدعمه مدارس أحد الجيزة، ثم الراهب أنطونيوس تلميذ أبونا متى المسكين كمرشح ثالث حيث اعتبر احتياطي لمعلمه مما دفع بالراهب أنطونيوس أن يستقل عن أبونا متى المسكين حتى يقف لا كاحتياطي بل كمنافس وند له. لذلك غادر الراهب أنطونيوس دير الأنبا صموئيل في أول فرصة حتى لا يكون تحت إشراف الأب متى المسكين. وفي أواخر الخمسينات ومطلع ستينات القرن العشرين ظهرت ثلاثة كتب جديدة للأب متى المسكين هي "البارقليط" و"العنصرة" و"الكنيسة الخالدة" فكان صدورها في ذلك الوقت بمثابة محرك للعاطفة الغضبية عند الراهب أنطونيوس الذي فتش الكتب الجديدة ليتصيد أي خطأ حتى يجد مأخذا وعيبا ليشن أول هجوم له معلن على أبونا متى المسكين المرشح المنافس له.

الكتب الثلاثة التي كتبها أبونا متى كانت تعتبر سابقة جديدة في الكنيسة القبطية حيث قدمت لأول مرة شرحا لاهوتيا روحيا أرثوذكسيا لمفهوم الروح القدس وحلوله باللغة العربية فدار حولها الكثير من الحوارات اللاهوتية في أروقة الكنيسة على مستوى علمي. الدكتور وهيب عطا الله الحاصل على الدكتوراه من إنجلترا حيث تخصص في الدراسات الهيرمونيطيقية والفيلولوجي وهي دراسة لأصول الكلمات فكان يدرس بكل تدقيق الكتاب المقدس باللغة القبطية وأصول الكلمات به. وتابع دراسته عن الروح القدس فلاحظ أن كلمة الروح تذكر أحيانا مُعرَّفة يسبقها أداة التعريف "بي **pi**" حيث اعتبر ذلك يشير إلى أقنوم الروح القدس بينما كلمة الروح في أحيان أخرى تظهر غير معرفة وبعد دراسة اعتبر أن ذلك يشير إلى مواهب الروح وليس الأقنوم. ولما ظهرت كتب أبونا متى كان اعتراضه عليها أنه ليس هناك تمييزا بين الروح القدس كأقنوم والروح القدس كمواهب فتصور أن هناك خلطا في الكتب. ودارت حوارات معه بهذا الخصوص. ولما ظهر كتاب ترجمة رسائل القديس أثناسيوس إلى سرابيون باللغة العربية للأب مرقس داود حيث عرض لموضوع حلول الروح القدس بأكثر تفصيلا تبين للدكتور وهيب خطأ التحليل الذي وصل إليه بعد أن رجع لأصل الرسالة بلغتها الأصلية.

الراهب أنطونيوس وهو تلميذ الدكتور وهيب عطا الله سمع تلك الحوارات فوجد في اعتراض الدكتور وهيب فرصة ليهاجم أبونا متى المسكين وكتبه التي كان يشعر بالغيرة منها جدا ومن هنا بدأ الانزلاق في فكر هرطوقي مُصرًا على الخطأ رافضا لأي رأي موضوعي ليس عن اقتناع بل عن بغض للكتب وكاتبها. العين الناقدة المدققة لأبونا أنطونيوس التي تتوقع الخطأ وتبحث عنه بهدف تشويه الكتب وصاحبها بلا منطق. بذلك بدأت أول مرحلة من الانحراف اللاهوتي عند أبونا أنطونيوس في محاولته الأولى الفاشلة لمهاجمة كتب أبونا متى المسكين فسقط هو في الهرطقة. تتلخص تلك الخطوة الأولى نحو الهرطقة في الادعاء بأن الروح القدس لا يحل علينا كبشر بذاته لكنه يحل فقط بمواهبه وصفاته مستخدما اعتراض الدكتور وهيب عطا الله بطريقة خارجة تماما عن النطاق العلمي. وبينما الدكتور وهيب تراجع عن رأيه بعد حوارا علميا موضوعيا إلا أن الراهب أنطونيوس كان يتمادى في الإصرار بتعصب عاطفي لا يعتمد على أي منطق لاهوتي. هذا التعليم الذي استحدثه أبونا أنطونيوس لا يوجد له أساس في الكنيسة القبطية ولا في الكتاب المقدس ولا في تعاليم الآباء ولا حتى عند أبونا أنطونيوس نفسه إلا أنه قام ينشره لتشويه كتب الأب متى المسكين. ولما كان المستوى المعرفي في مجال التعليم اللاهوتي منخفضا استطاع أبونا أنطونيوس أن يقنع بفكرته بعض السذج من الشلة المحيطة به كما استمال بعض أعداء أبونا متى من مدارس أحد الجيزة الذين يشعرون بالغيرة من كتاباته وانتشارها. ولما عرضت تلك الاتهامات على المجمع المقدس، فلم يُقدِّر المجمع خطورة تلك الأفكار على الإيمان الأرثوذكسي حيث كانت في بداياتها، ولم يتوقع المجمع ف ذلك الوقت المبكر إمكان تطورها لذلك الحد من الانحراف اللاهوتي لتحدث قلقا في الكنيسة، فاعتبرها المجمع مجرد أفكار غير ناضجة نتجت عن الغيرة من معلمه الأب متى المسكين فرفض المجمع المقدس شكواه وأهملها. لكن المشكلة تفاقمت وتطور الانحراف اللاهوتي عن الروح القدس لما هو أخطر من شكله البدائي تدفعه الغيرة والكراهية.

المرحلة الثانية: بدأت الفكرة الخطرة تتبلور بطرح تساؤلات أكثر وأخطر. الروح القدس حل على السيدة العذراء فكانت النتيجة ميلاد السيد المسيح. فهل ممكن أن يحل الروح القدس فينا كما حل على السيدة العذراء؟ من يحل عليه الروح القدس يصير مسيحا. فهل نحن نصير مثل المسيح بلا خطية بحلول الروح القدس علينا؟ بذلك تمسك بفكرته الأولى أكثر فالروح لا يحل علينا إلا بمواهبه فقط. ورغم المغالطات الشديدة لتلك الأفكار فقد تصورت أمامه كأنها الحق الإلهي. وهنا بدأ يقترب من الفكر النسطوري بخطوات ثابتة.

المرحلة الثالثة لتلك الفكرة كانت في مناقشته لسر الإفخارستيا فرفض حلول الروح القدس في السر حتى لا يجد ذلك الحلول مسارا يشمل الإنسان بحلول الروح القدس عليه... فكل من يحل عليه الروح القدس يصير مسيحا تسجد له الناس على حد قوله.

المرحلة الرابعة: ترتب على رفض حلول الروح القدس رفض البنوة للآب التي منحت للإنسان من خلال تجسد الابن ونوال الناس عطية البنوة بالروح القدس. لذلك رأى أن البنوة مجرد كلمة رمزية وليست بنوة فعلية وذلك بسبب رفض مبدأ حلول الروح القدس. بذلك اقترب جدا من الفكر الإسلامي فعلاقتنا بالله هي عبودية لله وليست بنوة.

المرحلة الخامسة: الجهاد والنعمة. ترتب على رفض حلول الروح القدس رفض عمل النعمة في الإنسان فصار خلاصنا بالجهاد الذاتي لنصل به إلي الفضائل والبر الذاتي بجهادنا بعيدا عن عمل الروح القدس الذي يرفض عمله فينا. وهي تتماثل تماما مع الهرطقة البللاجية التي حاربها القديس أغسطينوس كما تقترب أكثر من الفكر الإسلامي.

المرحلة السادسة: رفض شركتنا في الطبيعة الألهية ... والشركة مع الآب والابن وشركة الروح القدس. فبدأ يعترض بشدة على آيات الكتاب المقدس نفسها ويهاجمها.

المرحلة السابعة: نظرية الأجساد الثلاثة. حتى لا تظهر انحرافاته عن الإيمان الأرثوذكسي حاول أن يحتفظ بالنصوص الإيمانية الأرثوذكسية التي ترددها الكنيسة بعد أن يفرغها من مفاعيلها فكان لا بد من الالتفاف حولها. لذلك كان لا بد له أن يقسم جسد المسيح لجسد يطبق عليه النص اللاهوتي الذي يحفظه الناس وذلك جسد السيد المسيح المولود من العذراء وهو منفصل تماما عنا ولا علاقة لنا به ولا بالكنيسة. وحتى يطبق نظرياته الرافضة لحلول الروح القدس صنع جسدين آخرين يحرمهما من كل مفاعيل الخلاص بالمسيح يسوع وهما جسد الإفخارستيا وجسد الكنيسة. حيث جسد الإفخارستيا ناسوت بلا لاهوت أما الكنيسة فهي جسد رمزي لا يمثل لا الناسوت ولا يحل عليه الروح القدس باللاهوت ويعتبر ذلك تطورا خطيرا جدا لمرحلة أخطر مما علم به نسطور حيث لم يكن هناك نصا لاهوتيا ملزما لنسطور في إيمانه. فتمادي الأنبا شنودة في الفكر الهرطوقي حيث لم يبلغ نسطور لتلك الدرجة من الانحراف اللاهوتي.

لا بد لنا من تقديم دراسة مستفيضة لكل مرحلة من هذه المراحل على ضوء العقيدة الأرثوذكسية التي ترفض النسطورية. وهناك بعض الدراسات على ذلك بموقع "كوبتك تروث" خصوصا الرد التفصيلي على المرحلة الثالثة والسادسة.

وبالإضافة لتلك المراحل السبع الخاصة بالروح القدس التي تمثل انحرافا وهبوطا مستمرا كانت أيضا في خلفية التعليم الذي يقدمه الأنبا شنودة أمرين في غاية من الخطورة تتعارض مع الفكر اللاهوتي الأرثوذكسي. أولهما استخدامه للاهوت المدرسي الذي ظهر في أوروبا في العصور الوسطى. وقد تسلل ذلك الفكر للكنيسة القبطية مع ظهور الإرساليات الأجنبية التي كانت تحاول خطف الأقباط. وعند الرد عليهم قام معلمي الكنيسة القبطية بدراسة الفكر الغربي حيث تسللت بعض عقائد اللاهوت المدرسي للكنيسة القبطية في أوائل القرن العشرين. ورغم أن الكنيسة الكاثوليكية نفسها نبذت تلك الأفكار بعد دراسات مستفيضة للفكر الآبائي كما في مجمع فاتيكن 2 إلا أن الأنبا شنودة تمسك أكثر بتلك الانحرافات البالية بهدف معارضة الأب متي المسكين وفكر اللاهوتيين المستقيمي الرأي.

أما الأمر الثاني الخطير والمرفوض من التعليم المستقيم للكنيسة القبطية هو تعليم الأنبا شنودة عن الثالوث الذي يلغي فكرة الأقانيم الثلاثة ليحولها لثلاثة صفات لله. فالله موجود بذاته مفكر بكلمته حي بروحه وبذلك يردد فكر أبوليناريوس الذي حرمه المجمع المسكوني الثاني بالقسطنطينية.

أنا أرحب بكل من يقدم لنا دراسة لاهوتية في هذا الشأن بشرط أن تكون دراسة علمية كنسية وليس مجرد اجتهاد مع الرجوع لمجمع أفسس الذي دافع عن إيمان الكنيسة ضد هذا الفكر المنحرف. وأرجو لو شاركنا الدكتور جورج حبيب بباوي في تقديم ومراجعة تلك الدراسات.

أما عن باقي المحاور فلنا في ذلك جولات أخرى

مع تحياتي؛

سامي المصري